

الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية بحث في التأسيس والتأصيل

The Algerian novel written in the Arabic language is a study on foundation and rooting

د. علجي فؤاد¹

¹ جامعة أحمد دراية، أدرار (الجزائر)، f78947496@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/03/26 تاريخ القبول: 2020/10/30 تاريخ النشر: 2020/12/23

ملخص:

تستهدف هذه الدراسة محاولة البحث عن البدايات الأولى للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية وتتبع مسيرتها الزمنية لتطورها مشيراً إلى أهم العوامل السياسية والاجتماعية التي أثرت في كل مرحلة من مراحل تطورها.

كلمات مفتاحية: الرواية الجزائرية، اللغة العربية، التأسيس، التأصيل.

Abstract:

This study aims to try to search for the first beginnings of the Algerian novel written in the Arabic language and trace its chronological path to its development, indicating the most important political and social factors that affected each stage of its development.

Keywords: Algerian novel, Arabic language, foundation, rooting.

1. مقدمة:

وصف أحد النقاد الكبار الرواية الأوروبية بأنها "ملحمة الطبقة الوسطى البرجوازية التي تكشف عن ضياع الإنسان وغرفته في المجتمع الحديث، فقد نشأت الرواية الأوروبية عندما تحطم التكامل بين الإنسان

وعالمه، وظهرت الحاجة إلى قصة يبحث بطلها المغترب عن عالم أكثر تكاملاً تتحقق فيه رغباته، هذه النشأة جعلت الرواية الأوروبية شكلاً من أشكال المفارقة التي تتجسد في توتر المسافة الفاصلة بين الواقع الملموس والمثالي الغائب"¹.

ويمكن لنا في تفكير مواز لهذا التفكير، ومغاير له في الوظيفة "أن نؤكد أن الرواية العربية هي ملحمة الطبقة الوسطى، ولكن في البحث عن هوية لها، داخل مجتمع ينقسم على نفسه، فيتمزق حاضره بين تقاليد ماضيه، وآفاق مستقبله بالقدر الذي تتمزق به هذا المجتمع بين تراثه الذي يشده إلى حلم مثالي عن عهد ذهبي للماضي، وحضارة الآخر الأجنبي الذي تشده إلى حلم مثالي مناقض في وعد المستقبل، هذا البحث عن الهوية هو الذي جعل الرواية العربية تنطلق من مفارقة التغير التي تفصل الماضي عن الحاضر من ناحية، والحاضر عن تطلعات المستقبل من ناحية ثانية، وفي هذه المفارقة المزدوجة تقاطعت علاقات الذات القومية بتراثها العربي مع علاقتها بحاضر الآخر الأجنبي داخل فضاء الرواية العربية"².

لقد نشأت البدايات الأولى للرواية العربية "مع بدء التغلغل الاستعماري في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وما نتج عن ذلك من نشوء علاقات إنتاج رأس مالية، لم تكن ولادتها قد نمت بطريقة التطور الطبيعي لعلاقات الإنتاج السابقة عليها، بقدر ما كانت مفروضة بفعل التدخل المباشر من القوى الأجنبية الخارجية الاستعمارية ولذلك فإن الرواية العربية الناشئة مع نشوء الرأسمالية المصرية، قد اقتضت على الجانب الرأسمالي من الحضارة الأوروبية الوافدة بشكل تدخل استعماري مباشر، ولهذا نجد أن جهود الروائيين العرب انصبّت بالدرجة الأولى على مناقشة حضارة أوروبا الرأسمالية في لقاءها بالمجتمع العربي"³.

إنّ الرواية العربية قد استطاعت "أن تتقبل مختلف الأبنية، والأنساق الجمالية وقد وفقت في اختراق عالم الحداثة خلال تطويرها لأدواتها الفنية، وتطويع لغتها وخاصة السردية منها، وأدرجت تعقيداً في حبكةها، فاستطاعت أن تعبر على ما يعيشه الإنسان في واقعه الحالي، وتتقاطع في عالم واحد من خلال سردية تسمو بالأحداث إلى درجات التوصيف العجيب الذي كان سائداً في سرديات العصر الوسيط"⁴.

فالرواية العربية شهدت صعوداً مذهباً في النصف الثاني من القرن العشرين وواكبت تحولات المجتمع العربي بأقطاره وبيئاته وأطيافه، ولا شك في أن ظهور الرواية العربية استندت إلى أسس ومراكز أدبية

وثقافية واجتماعية وسياسية وحضارية ويمكن أن يذكر المرء هنا " تراكم الخبرات الفنية والأدبية وتطور الوعي الجمالي والاحتكاك والتواصل مع تجارب الروائيين الأجانب، كل هذه العوامل أدت إلى الإحساس بضرورة التغيير والتغير، كما أدت إلى شحن الوجدان الجماعي بالقدرة على التخطيط والتجاوز"⁵، والحديث عن الرواية العربية الجزائرية يحيلنا إلى تتبع أهم المخططات والمتغيرات التي سلكتها حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن.

2. إرهاصات الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية:

تشير بعض الدراسات إلى أنَّ أول محاولة قصصية مطولة عرفها الأدب الجزائري تدخل في إطار جنس الرواية كظاهرة مبكرة كتبه صاحبه سنة 1849م وهو حكاية العشاق في الحب والاشتياق للسيد محمد بن إبراهيم 1886/1806م المدعو الأمير مصطفى، ورواية حكاية العشاق في الحب والاشتياق أقرب إلى السرد الملفوظ، وأكثر التصاقاً بالشعبية وكل ذلك لا ينفي عنها صفة التأسيس للرواية الجزائرية إن لم نقل الرواية العربية قاطبة، فحكاية العشاق لم تكتف بتسجيل الواقع كما هو مثلما فعل رفاة الطهطاوي 1873/1801م في كتابه تخلص الإبريز، وإنما كانت لكاتبنا إرادة بناء نص قصصي وهذه الإرادة متوفرة ومتأصلة منذ قراءتنا لأول كلمة في القصة⁶.

ثم تبعتها أعمال بدأت تعانق الفن الروائي، وتبحث في مضمون الفكرة والحدث والشخصيات والصياغة، فكان أول جهد معتبر في ذلك رواية: غادة أم القرى لكاتبها أحمد رضا حوحو 1956/1910م، وانتهى من كتابتها في الجزائر 01 جانفي 1947م، وكما عاجلت من قبل رواية حكاية العشاق في الحب والاشتياق موضوع العشق فقد تطرقت رواية غادة أم القرى إلى قضية المرأة أيضاً، وهذا ما يلاحظ في صفحة الإهداء والكتاب لقد خصص للأوضاع التي تعيشها المرأة المكية وهذا ما جاء يحمله العنوان حيث إن غادة تعني الفتاة الحسنة وأم القرى هي مكة، وأهدى هذا الكتاب للمرأة الجزائرية قائلاً: "إلى تلك التي تعيش محرومة من نعمة الحب... من نعمة العلم... من نعمة الحرية، إلى تلك البائسة المهملة في هذا الوجود إلى المرأة الجزائرية أقدم هذه القصة تعزية وسلوى"⁷.

فأول شيء حرمت منه المرأة الجزائرية، كما حرمت منه المرأة المكّيّة هو الحب "وهذا الحرمان هو ما يقابلنا في الرواية من خلال تصوير معاناة زكية التي تجدد نفسها بين أربعة جدران بحجة أنها امرأة، إنّ المبنى الحكائي يبدأ باكتشاف الفتاة لجسدها بواسطة المرأة"⁸.

وقد وصف الكاتب زكية بأنها "فتاة معتدلة القامة، رشيقة القد، تكسو جسمها سمرة تشوبها حمرة خفيفة ذات عينين نجلاوين حالكة السواد"⁹، أما داخل هذا الجسد "فيران ملتبهة تنطلق على شكل زفرات حارة، إنّّه تقييد وكبت العواطف داخل هذا الجسد وحبس هذا الجسد داخل هذه الجدران، فلا مجال لإثبات الوجود وليس هناك من يكشف هذا الجسد سوى المرأة، ويشاء المؤلف أن يفرغ البيت من السكان وتبقى زكية وحيدة، ويقبل جميل الذي تربى في صغره مع زكية في بيت واحد إلى أن أتى يوم منعت فيه الفتاة من التحدث إلى جميل، ها هو اليوم يقبل ويقف عند الباب طارفاً لكنها وحدها ولا تستطيع الرد وتكتفي بالتصفيق علامة أن لا أحد بالبيت يمكنه فتح الباب، وتعبّر الفتاة من خلال هذا الموقف عن حرمانها من أن تربه وجهها، أو تسمعه صوتها، ولا تجد هذه الفتاة لمعالجة وضعيتها تلك سوى الهروب للطفولة حيث كان يسمح لها ببعض اللعب"¹⁰.

ويحدث أن يأتي الشيخ أسعد "طالباً يد الفتاة زكية لابنه ويرفض أبوها هذه الخطوبة بحجة أنها مخطوبة لجميل وهنا تفرج الفتاة وتطير بأجنحة السعادة إلى المستقبل، لكن الشيخ أسعد ما كان له أن يسكت عما لحق به من رفض وهو الثري فيدبر ابنه مكيدة لجميل تجعله يدخل السجن ظلماً"¹¹، وهنا تؤول زكية إلى حالة صحية عصبية، يقول الكاتب: "تلك الفتاة التي قضى عليها عراك نشب ما بين حبها المكبوت المكبل بالأغلال وعقلها المرهق بأعباء التقاليد الثقيلة، فقد اتخذت من قلبها الفتي ميداناً لنضالهما فحطماه وتحطما معه، وغدا سرها دفينا بين قلبها وعقلها المتين وغدت هي كالطفلة ترمح وتلعب وتستعثر وقد تخلصت من كل الآلام والقيود، قيود العقل والقلق وآلامهما"¹².

تصاب زكية بمرض يشبه الجنون "وبذلك تتحطم ذاتياً، فقد أصبح قلبها الفتي ميداناً للتناقض بين رغبات النفس، وبين التقاليد التي يفرضها المجتمع مثل: الكبت التصريح بالحب الاختفاء وعدم الظهور، وتكون النتيجة الرفض الكلي للمجتمع والانسحاب من ميدان الحياة السوية، وبذلك تحدث المأساة

الكبرى في هذه الرواية وتمتد لتصيب أيضًا جميل، إذ تنتهي الأمور بموت الحبيين قبل إيجاد حل، بل إن الموت هو الحل البديل¹³.

وهذه الرواية كتبت على الطريقة الكلاسيكية الأرسطية، التي ترى أن العمل الدرامي تحكمه ثلاث مقومات: بداية، عرض، ونقطة وسط، عقدة، ونهاية حل، ويبقى هذا العمل بالرغم من هنائه وهفواته، عملاً فنيًا رائدًا في بنائه ولغته وفي مغامرته الإبداعية خاصة إذا قورن بما كان سائدًا، ويكفي أحمد رضا حوحو فخراً أنه أول أديب يكتب باللغة العربية ويدخل عوالم الفن الروائي.

وإذا انتقلنا إلى فترة الخمسينات نجد روايتي: الطالب المنكوب ل:عبد المجيد الشافعي التي صدرت سنة 1951م، لقد رسم لنا الكاتب في قصته هذه "ملامح للشباب الجزائري الطموح الذي يفارق وطنه وأرضه وقريته فقيرًا يتيماً معدماً، ويلاقي من الصعوبات والممارات الكثير، ولكنه يدرك في الأخير غايته وبفضل الصبر والصمود والكفاح والخلق الكريم يتفوق على الحصول على الشهادات العلمية التي فارق بسببها وطنه¹⁴.

وتدور أحداث هذه الرواية في تونس، وبطلها الطالب الجزائري المنكوب عبد اللطيف بارح عبد اللطيف الفتى الفقير اليتيم قريته بعد أن باع كل ما يملك من أجل الدراسة في تونس، "وأثناء الرحلة في القطار يفقد عبد اللطيف تذكرة سفره فيضطر إلى إنفاق ما تبقى له من المال في شراء تذكرة توصله إلى أقرب محطة، حيث تعرض إلى حادثة غريبة ظالمة إذ اتهمه شرطي بأنه في حالة سكر لأنه يمشي هائماً بسبب ضياع ما لديه من مال، وبسبب شعوره بأن أمله في الوصول إلى تونس يتبدد ويختفي فزج به في السجن على عادة المستبدين من غلاة المستعمرين، وبمجرد أن ثبتت براءته وبارح سجنه عمل عند نجار وادخر بعض المال، وتمكن من الوصول إلى تونس وإلى جامع الزيتونة بالذات¹⁵.

وما إن استقر بعبد اللطيف المقام بتونس وتوثقت صلته بأفراد البلد وبزملائه من الطلبة، حتى أصبح يتجول في أطراف المدينة يتفياً ظلال الحداثق الغناء في جولات شاعرية رومانسية. وبينما هو كذلك في أحد الأيام "إذ بفتاة رائعة الجمال تناجي الطبيعة وتتأمل الزهر وتحاوره وما كاد بصره يقع عليها حتى أغمي

عليه، وما إن تعرفت الفتاة على قصته حتى أصبحت أسيرة هواه، وأصبحا يلتقيان بين الفينة والأخرى بل إن هذا الحب أصبح دافعاً جديداً حققه بعزيمة قوية لمواصلة الدراسة وتحقيق الفوز¹⁶.

وتشاء الأقدار هذه المرة أن تخرج الفتاة مع أسرتها للإقامة بأحد الشواطئ فيلتحق بها الفتى بعد أن حصل على نتائج امتحانه. أما الحادثة الغريبة إذ بعبد اللطيف يبصر فتاته تتخبط في الموج يكاد يغرقها "فما كان منه إلا أن رمى نفسه في الماء، وأنقذها وحملها إلى المنزل مما جعل العائلة تشعر بأنها أصبحت مدينة لهذا الفتى الذي أنقذ ابنتهم الوحيدة من الموت، وهكذا يخرج البطل منتصراً على الأسرة جميعاً بمن في ذلك الحبيبة التي رد إليها الدين، وكسب معها الجولة الأخيرة ووالدها الذي أعجب بثقافته، وأمها التي كانت ترى فيه منّة السماء والصدفة النادرة التي أنقذت وحيدتها من الهلاك، وما إن يتم عبد اللطيف دراسته ويستوطن إحدى مدن الجزائر حتى يرسل إلى الشيخ يخطبه في ابنته لطيفة ويحييه الشيخ من غير تريث ولا امتناع لما رأى منه في عدة سنوات اختبره فيها فوجد فيه الشاب المناضل المتخلق بالأخلاق العالية وعرف كفاءته لابنته والرجل الذي يعينه في خدمة الدين والكفاح عن الإسلام"¹⁷، إذاً فمدار هذه الرواية ليس الحب العجيب ولا المشاعر المفتعلة، والصدف النادرة والمواقف الميلودرامية بقدر ما جاءت راسمة للشخصية الجزائرية التي تحدث كل المصاعب وهزأت بكل العقبات.

أمّا الرواية الثانية التي ظهرت في هذه الفترة هي رواية: الحريق ل: نور الدين بوجدرّة التي صدرت سنة 1957م، بطل رواية الحريق شاب شجاع اسمه علاوة ينحدر من ولاية سكيكدة، قرّر علاوة الالتحاق بصفوف الثورة التحريرية بعد أن قتل الاستعمار الفرنسي والديه، ولكي ينتقم لهما يجد نفسه مضطراً بأن يضحي بحبه، تاركاً ابنة عمّه وخطيبته زهور التي تلتحق هي الأخرى بصفوف الثورة التحريرية لكن تشاء الأقدار أن تصاب زهور بمرض عضال أثناء رفقتها في الجبل، فيحملها علاوة قاطعاً بها الجبال إلى أن تستشهد بين يديه عند الحدود التونسية الجزائرية.

وبقي هذا النصّ الروائي أكثر جديةً وتطوراً من النصين الروائيين السابقين عادةً أم القرى والطالب المنكوب وقد كان بإمكان الكاتب أن يقدم لنا نصّاً متماسكاً مترابط الوشائج، خاصة أن المخزون الفكري واللغوي والثقافي لهذا الأديب كانت تؤهله في كيفية التعامل مع البنيات السردية والفنية لعمله.

أمّا في فترة الستينات فلا نكاد نعثر إلا على عمل روائي مكتوب باللغة العربية وهو صوت الغرام لـ: محمد منيع التي كتبها سنة 1966م، وذلك نظرًا للظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، إذ انشغل الجزائريون بمعركة البناء والتشييد، وتتميز عن الروايات التي سبقتها أنها ظهرت بعد الاستقلال، ولكن لا تختلف عن غيرها في بنيتها ومضمونها فالموضوع الرئيسي الذي تعالجه هذه الرواية هو موضوع الحب في أبسط حوامله الفكرية والعاطفية.

وكتقييم للكتابات التي سبقت السبعينات نرى "أنها لم تتطور صوب اتجاهات فنية واضحة بل ظلت مجرد محاولات معزولة لم ترق إلى المستوى المطلوب، وهذا الموقف يتناسب والظرف التاريخي السائد، والدارس لهذه النتاجات يلاحظ سيطرة المضامين الانفعالية التي تمجد الأحاسيس السطحية ولا نجد أي كاتب أو ناقد أثار مثلاً مسألة الشكل الفني أو الجوانب الجمالية للنص"¹⁸.

ونرى أن الجيل المخضرم من الروائيين الذين "عاشوا أوائل الخمسينات وسنوات الثورة الجزائرية يدًا لا تنكر في الربط بين ماضي الأدب الجزائري وحاضره، إنَّ لجيل الثورة والجيل الذي سبقه يدًا لا تنكر في توجيه نثرنا الحديث الوجهة التي يتجهها اليوم غير أن هناك أمورًا يمتاز بها أدباؤنا لفترة ما بعد الاستقلال على أدباء ما قبل الاستقلال وأهم هذه الأمور هو اشتداد القاص والروائي المعاصر بدوره في المسيرة الاجتماعية التي تسيرها بلادنا منذ الاستقلال، فلم يبق لكتابنا اليوم إلا أن يهتموا بما يشغل بال الجماهير الجزائرية بالدرجة الأولى"¹⁹.

وعليه تبقى النصوص التي ذكرناها سابقًا، البذرة الأولى للرواية العربية في الجزائر، على أنَّ هذه النصوص مثلت بحق مرحلة التأسيس للكتابة الروائية العربية في الجزائر، "لأنَّ التجربة ومنطق التطور تؤكد لنا أنَّ ظهور فن ما مكتملاً طرفةً واحدةً أمر مستحيل لا يرام ولا يوجد على الأقل في ثنايا التجارب الماضية، الأمر الذي يجعل من التعقل العلمي قبول النصوص التي ذكرناها بوصفها مرحلة لا بد منها للوصول إلى مرحلة متطورة، أو كما يمكن أن نسميها: مرحلة التأسيس الروائي"²⁰.

أمّا في السبعينات فقد شهد الفنُّ الروائي تطورًا وتنوعًا لم يعرف له مثيل من قبل "إذ رجحت كفة الإبداع الأدبي على ما سواه من وسائل التعبير الجمالية، حيث زخرت الحياة الثقافية بكم هائل من

القصص القصيرة ودواوين الشعر وعشرات الروايات والمسرحيات في بلد كان يعتبر النطق فيه بحرف عربي جريمة وتخلّفًا ثم رجحت هذه الكفة مرة ثانية لصالح الرواية على القصة القصيرة والمسرحية والشعر نتيجة لامتلاك الأولى مقومات البعد الوظيفي المأساوي والقدرة على تجسيده فنيا، زيادة على تميزها بتوفير مجالات أوسع للبحث عن الذات وبقدرتها العجيبة على احتواء هموم الإنسان ماضيا وحاضرا ومستقبلا²¹.

غير أنّ "النشأة الجادة لرواية فنية ناضجة ارتبطت برواية ريح الجنوب وقد كتبها عبد الحميد بن هدوقة 1996/1925م في فترة كان الحديث السياسي جاريا بشكل جدي عن الثورة الزراعية فأبرزها في 05 نوفمبر 1970م تركيبة للخطاب السياسي الذي كان يلوح بآمال واسعة للخروج بالريف من عزله ورفع الضيم عن الفلاح، ودفع كل أشكال الاستغلال للإنسان، إذاً هذا هو الجو الذي تنفست ريح الجنوب طلائعه، وقد جرت أحداثها في الريف بمنطقة تقترب من الهضاب العليا بين جنوب الوطن وشماله²².

وريح الجنوب تعالج قضايا كثيرة "تتصل بالأرض وبالمراة، وبنضال الأفراد من أجل الحياة والمستقبل كما تعالج الدوافع الشخصية والتصرفات التي تحرك الإنسان وتقوده إلى مصيره، تلك هي الخطوط العامة التي رسمها المؤلف من خلال الحدث والشخصيات في هذه الرواية"²³.

وقصة ريح الجنوب "هي قصة مأساة فتاة جزائرية ريفية هربت من القرية إلى العاصمة لتدخل الجامعة وتدرس فيها، ولكنها عادت للقرية لتقضي إجازتها في صيف حار زاده لفح ريح الجنوب حرارة أخرى أثرت في الإنسان والطبيعة معا وزاد من ضيقها أنها سجنينة في دار أبيها، وفكر ابن القاضي وهو اسم الأب في أن يزوجه من رئيس البلدية بعد أن بدأ الحديث يدور حول الإصلاح الزراعي والثورة الزراعية فخاف على أرضه وهو من الملاك المعروفين بولائهم في الماضي للحكام الفرنسيين، ولذلك فإن زواج ابنته بمالك شيخ البلدية المجاهد القديم والحزبي اليوم يتيح له أن يحافظ على أملاكه ومكانته ونفوذه في القرية، وتفجر الموقف فالفتاة تعلمت كي تختار مصيرها لا أن يختار غيرها لها حتى ولو كان الأب نفسه"²⁴.

غير أنَّ الشيء الجديد الذي جاءت به هذه الرواية هو الاهتمام بالأرض وارتباط الإنسان الجزائري بها، هذا الإنسان الذي كافح من أجلها، كما كافح الاستعمار، وتعد رواية ربح الجنوب "علامة فارقة في تاريخ الأدب الجزائري وإحدى الركائز الأساسية في تاريخ الرواية العربية في هذا البلد، ولعل الرأي الذي يقول أنها تمثل الريادة الحقيقية والتأسيس الفعلي لفن الرواية المكتوب بالعربية في الجزائر يعدو الحقيقة، وذلك لما تنطوي عليه بنية هذه الرواية من تمكّن بنائي لافِت، ومستوى سردي محكم ومقاربة عميقة لنماذج الشخصيات ومعالجة فنية خاصة، وعلى صعيد الرواية العربية يمكن توصيف هذه الرواية بأنها أصبحت بعد مرور أكثر من ثلاثة عقود على صدورهما بطبعتهما الأولى، واحدة من كلاسيكيات الرواية العربية ومن بين أبرزها خلال القرن العشرين وعلى الصعيد العالمي نالت هذه الرواية اهتماما واسعا فترجمت إلى عشر لغات عالمية منها: الفرنسية الألمانية الروسية، الإسبانية، فيما حظيت باهتمام مضاعف بعد أن تحولت في أواسط السبعينات إلى فيلم سينمائي بالاسم نفسه²⁵.

إنَّها رواية "المرأة" بمختلف نماذجها المقهورة والمذعورة والمحتجة، وهي رواية مكتوبة بعربية فخمة وبجزالة متماسكة، ومتمسكة ببلاغة تراثية وعبارات فصيحة حد الصرامة... حتى أنَّ صرامة تعبيراتها وجزالة ألفاظها وفصاحة عباراتها تنسحب بالقدر نفسه على الراعي والمثقف لتضعهما في مستوى واحد²⁶. ويمكن القول هنا أنَّ الرواية الجزائرية نشأت وتطورت عبر ثلاث مراحل وهي:

3. مرحلة ما قبل الثورة التحريرية:

أوّل عمل روائي في هذه المرحلة هو ل: محمد بن إبراهيم بعنوان حكاية العشاق في الحب والاشتياق عام 1849م، ثم جاء بعد هذا العمل الروائي رواية: غادة أم القرى ل: أحمد رضا حوحو عام 1947م، ثم تبعتها محاولة عبد الحميد الشافعي والمعنونة ب: الطالب المنكوب عام 1951م.

4. مرحلة الثورة التحريرية:

الثورة الجزائرية خلقت مناخًا خصبًا للرواية لتتطور أكثر، وتتفاعل مع أحداث الثورة وتعبّر عن واقع الوطن والشعب، فكانت الثورة الجزائرية الأرضية المناسبة لكتاب الرواية ليعيشوا أحداثها المتوترة وحرها الدامية، ومن الروايات التي حملت سمة الثورة رواية: الحريق ل: نور الدين بوجدر عام 1957م.

5. مرحلة ما بعد الاستقلال:

تبدلت الظروف العامة منذ الاستقلال "فتحقق الاستقلال السياسي، وتأكدت الشخصية الوطنية، وقامت الدولة الجزائرية التي بدأت تعمل من أجل الحفاظ على المقومات الوطنية الحضارية فلم يبق لكتابنا اليوم إلا أن يهتموا بما يشغل بال الجماهير الجزائرية بالدرجة الأولى، وكثير من الباحثين يرون أن المواقف ذاتها قد تبدلت، وفي الواقع أن هذه المواقف قد تطورت فعلا، فمواقف كتاب اليوم ليست بالضرورة هي مواقف كتاب الأمس"²⁷.

كانت فترة الاستقلال أدعى لما فيها من هدوء نسبي إلى الميل نحو كتابة الفن الروائي لكن صورة الثورة ظلت هاجس تلاحق كل الكتاب، سواء من باب الحنين فالوصف، أو من باب الحنين فالنقمة فالنقد. فروايات مثل: المؤامرة ل: محمد مصايف، و البزاة ل: مرزاق بقطاش، وهموم الزمن الفلاقي ل: محمد مفلح، نجدها مثلاً لا تتعدى الوصف بمهدف التغيي بمجد صنعناه بينما نجد التفكك لرشيد بوجدره، و اللاز لطاهر وطار، و نوار اللوز لواسيني الأعرج، أو زمن النمرود للحبيب السايح، أو سهيل الجسد لأمين الزاوي، "من الكتابات التي لم تبق في حدود التعاطف والوصف، بل تجاوزت ذلك إلى النقد، رغم أن هؤلاء المؤلفين جميعاً عاشوا الظروف نفسها تقريباً"²⁸.

فصورة الثورة في أعمال الطاهر وطار، و رشيد بوجدره، و واسيني الأعرج، و أمين الزاوي والحبيب السائح " لم تحضر بوصفها رقعة أرجوانية تزيّن النص الأدبي ولا كجسر يمكن الكاتب من العبور إلى اكتساب الشرعية الأدبية، وإنما الارتداد إلى صورة الحرب يمثل مرتكزا شرعيا نقديا نقيضا لشرعية تاريخية يمثلها الخطاب الرسمي بشكل زائف، وهنا يتداخل السياسي والاجتماعي والنفسي والتاريخي وتقتصر أية مقارنة نقدية عن ملامسة الإشكالية التي يطرحها النص إذا هي اعتمدت منطلقا أحاديا، وإذا هي لم تتسلح بوعي واقعي وتاريخي"²⁹.

أمّا مرحلة الثمانينات فقد شكّلت في مناخها الروائي استمرارية لفترة السبعينات سواء على المستوى الفني أو في طبيعة الرؤية التي تنبأها أصحابها، حيث لم يلاحظ أي عمل من هذه الأعمال في هذه المرحلة أنّه أحدث قفزة نوعية مع رواية السبعينات، إلا بعض المحاولات التي راحت تبحث عن رحلة

الذات، ومحاولة الانفتاح، وكسر قدسية الثورة التي طبعت جلّ الأعمال الروائية في مرحلة السبعينات ومن هذه الأعمال نذكر: رواية: الحوات والقصر ل: الطاهر وطار التي كتبها سنة 1980م، ورواية: الجازية والدرأويش ل: عبد الحميد بن هدوقة التي كتبها سنة 1983م، ورواية: تجربة في العشق ل: الطاهر وطار التي كتبها سنة 1988م.

أمّا في مرحلة التسعينات تجاوزت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية مرحلة التأسيس والبحث عن الذات فقد وقفت على رجلها لتنتقل إلى السّعي في رحلة البحث عن الإبداع والتميز، مع أن فترة التسعينات كانت من أصعب المراحل التي مرّ بها الشعب الجزائري وعاني فيها الكثير من الويلات والمصاعب، وتفشت خلالها ظاهرة الإرهاب الذي أدى إلى كل صنوف المآسي والأحزان، إلا أنها في الوقت نفسه فتحت الأبواب أمام الأدباء لتناول مواضيع دسمة. فالأوضاع التي عاشتها الجزائر في حقبة التسعينات جعلت العديد من كتاب الرواية من مختلف الأعمار يستلهمون منها مواضيع لأعمالهم الإبداعية، وهو الأمر الذي أحدث فصلة نوعية في متن تلك الروايات، ولعل من النصوص الروائية التي عاجلت موضوع مسألة المحنة رواية: ذاكرة الجسد ل: أحلام مستغانمي التي كتبها سنة 1993م، ورواية: الشمعة والدهاليز ل: الطاهر وطار التي كتبها سنة 1995م، وكذا رواية: المراسيم والجنائز ل: بشير مفتي التي كتبها سنة 1997م.

أمّا فترة ما بعد التسعينات تخلصت الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية من قيود الماضي وبدأت في مناقشة قضايا الراهن، واستشراف المستقبل، فمثلت التحريب والإبداع وجدّت وجدّدت في أساليبها المختلفة، موظفة التراث فتجاوزته إلى ما بعد التراث وإعادة إنتاجه بطابع الحاضر. وعجّت الساحة الأدبية بجمع من الأدباء غاصوا في متاهات الحداثة السردية مستخدمين آليات تجريبية جديدة تجديدية أمثال: واسيني الأعرج، إبراهيم سعدي، الحبيب السايح، أمين الزاوي، عز الدين جلاوحي.

والحق أنه يسبق هذا الإبداع الأدبي الجديد في الستينات "واقع آخر يتمثل في أن عددًا مهمًا من كتاب القصة القصيرة الجزائرية بالعربية كانوا قد نشروا قصصهم منذ الأربعينيات وأوائل الخمسينيات في صحيفة البصائر وعلى وجه الخصوص، وحين توقفت هذه الصحيفة سنة 1956م نتيجة لأحداث ثورة

01 نوفمبر 1954م، اتجه عدد من أولئك الكتاب إلى نشر قصصهم أو مجموعاتهم القصصية في تونس أو في العواصم العربية خاصة القاهرة وبيروت، وحين نعلم أن بعض كتاب الجزائر بالعربية في ميدان القصة القصيرة في الخمسينيات والستينيات، قد أصبح يكتب الرواية إلى درجة أنه أصبح يكتبها أكثر مما يكتب الأنواع الأدبية الأخرى، بما في ذلك القصة القصيرة التي كان قد بدأ الإبداع الأدبي من خلالها، فإنه يمكن القول بأن القصة القصيرة من أهم العوامل التي ساعدت على نشوء الرواية الجزائرية بالعربية، أو مهدت لها منذ أواخر الأربعينات وساعدت على تطويرها كمًّا ونوعًا³⁰.

فمثلاً أحمد رضا حوحو وعبد المجيد الشافعي وغيرهم هم في البداية كتاب قصة قصيرة ولكنهم اتجهوا بعد ذلك إلى كتابة الرواية، فكتب كل واحد منهم على الأقل عملاً روائياً. أما الطاهر وطار وعبد الحميد بن هدوقة اللذان يمثلان الآن طليعة كتاب الرواية في الجزائر ظهرت أولى كتاباتهما بالصحف والمجلات التونسية في فترة الخمسينيات والستينيات، فكتب الطاهر وطار مجموعته القصصية دخان من قلبي وصدرت عن الشركة القومية بتونس سنة 1962م، وألف عبد الحميد بن هدوقة مجموعته القصصية الأشعة السبعة التي صدرت هي الأخرى عن الشركة القومية بتونس سنة 1962م. وقد أبدع كل من محمد العالي عرعار وجيلالي خلاص ومرزاق بقطاش وواسيني الأعرج، ومحمد أمين الزاوي في مجال القصة القصيرة، ثم اتجهوا إلى كتابة الرواية. فالقصة القصيرة تعتبر هي اللبنة الأساسية لكتابة فن الرواية عند معظم الروائيين الجزائريين سواء كان ذلك في مرحلة النشوء منذ أواخر الأربعينيات أو في مرحلة النضج والازدهار منذ بداية السبعينيات.

كل هذه العوامل والظروف ساعدت على ظهور الرواية بشكل جديد، وجعلها تتطور بسرعة في الكم والكيف والنوع، ومن هذه الروايات نذكر:

عنوان الرواية	المؤلف	سنة الطبع
صوت الغرام	محمد منيع	1966م
رمانة	الطاهر وطار	1969م
ريح الجنوب	عبد الحميد بن هدوقة	1971م

1972م	محمد العالي عرعار	ما لا تذروه الرياح
1972م	الطاهر وطار	اللاز
1974م	الطاهر وطار	الزلازل
1975م	عبد الحميد بن هدوقة	نهاية الأمس
1975م	عبد المالك مرتاض	نار ونور
1976م	عبد العزيز عبد المجيد	حورية
1976م	مرزاق بقطاش	طيور في الظهيرة
1977م	محمد الصادق حاجي	على الدرب
1977م	بوسنان سعد الله	وجوه مستبشرة
1978م	إسماعيل غموقات	الشمس تشرق على الجميع
1978م	محمد العالي عرعار	الطموح
1978م	شريف شناتليه	حب أم شرف
1978م	عبد المالك مرتاض	دماء ودموع
1979م	واسيني الأعرج	جغرافية الأجساد المحروقة
1979م	زهور ونيسي	من يوميات مدرسة حرة
1979م	محمد زيتلي	الأكواخ تحترق
1979م	علاوة بوجادي	قبل الزلازل
1980م	الطاهر وطار	العشق والموت في الزمن الحراشي
1980م	إسماعيل غموقاف	الأجساد المحمومة
1980م	عبد الحميد بن هدوقة	بان الصبح
1980م	محمد العالي عرعار	البحث عن الوجه الآخر
1981م	عبد العزيز بوشفيرات	نجمة الساحل
1981م	إبراهيم سعدي	المرفوضون

1981م	واسيني الأعرج	وقع الأحذية الخشنة
1981م	شريف شناتليه	ناموسة
1982م	إدريس بوذينة	حين يبرعم الرقص
1982م	رشيد بوجدره	التفكك
1983م	واسيني الأعرج	واقع من أوجاع رجل غامر صوب البحر
1983م	عبد الحميد بن هدوقة	الجازية والدرأويش
1983م	مرزاق بقطاش	البزاة
1983م	واسيني الأعرج	ما تبقى من سيرة لخضر حمروش
1983م	واسيني الأعرج	نوار اللوز
1983م	أمين الزاوي	صهيل الجسد
1983م	محمد جابري	حديث عصا
1983م	محمد مصايف	المؤامرة
1984م	رابح خلدوسي	الضحية
1984م	واسيني الأعرج	مصراع أحلام مريم الوديعة
1984م	محمد مفلح	الانفجار
1984م	الباهي فضلاء	العليق
1984م	إسماعيل غموقات	التهور
1984م	رشيد بوجدره	المراث
1984م	محمد عبد القادر السائحي	كان الجرح وكان يا مكان
1984م	محمد الصالح حرز الله	اعترافات جديدة لصاحب البشرة السمراء
1985م	محمد مفلح	هموم الزمن الفلاقي
1985م	الحبيب السايح	زمن النمرود
1985م	الهاشمي سعيداني	المضطهدون

1985م	علال عثمان	الانتفاضة الكبرى
1985م	رشيد بوجدره	يوميات امرأة أرق
1985م	جيلالي خلاص	رائحة الكلب
1985م	أحمد صديفي	مغامرة الطفل المتمرد
1985م	عبد المالك مرتاض	الخنازير
1986م	محمد حيدار	الأنفاس الأخيرة
1986م	محمد بن مريومة	الإقامة في المناطق الممنوعة
1986م	إسماعيل غموقات	الشياطين
1986م	محمد مفلح	الانهايار
1986م	محمد العالي عرعار	زمن القلب
1986م	جيلالي خلاص	حمام الشفق
1986م	عبد المالك مرتاض	صوت الكهف
1988م	أحميدة العياشي	ذاكرة الجنون والانتحار
1988م	محمد مفلح	زمن العشق والأخطار
1988م	محمد مفلح	خيرة والجبال
1988م	علاوة بوجادي	عين الحجر
1989م	محمد نسيب	ابن السكران
1989م	محمد مرتاض	وأخيرا تالأت الشمس
1989م	مرزاق بقطاش	عزوز الكابران
1990م	الطاهر وطار	تجربة في العشق
1990م	واسيني الأعرج	ضمير الغائب
1990م	رشيد بوجدره	فوضى الأشياء
1992م	رابح خلدوسي	الغرباء

1993م	عبد الحميد بن هدوقة	غدا يوم جديد
1993م	أحلام مستغانمي	ذاكرة الجسد
1993م	حفناوي زاغر	الفحوة
1996م	واسيني الأعرج	سيدة المقام
1997م	بشير مفتي	المراسيم والجنائز
1998م	جيلالي خلاص	عواصف جزيرة الطيور
1998م	جيلالي خلاص	بحر بلا نوارس
1999م	إبراهيم سعدي	فتاوى زمن الموت
1999م	الطاهر وطار	الوالي الصالح يعود إلى مقامه الزكي
2000م	شهرزاد زاغر	بيت من جماجم
2000م	بشير مفتي	أرخبيل الذباب
2000م	عز الدين جلاوجي	سرادق الحلم والفجيرة

5. خاتمة:

لقد استطاعت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية أن تحقق الكثير من توجهاتها وأن تحتوي على البعد الإنساني بكل قضاياها من خلال المردود الطيب لهذه الأقلام الروائية، التي عبرت عن نضج الإحساس بالشخصية القومية وصورت انطباعات الكفاح والمعاناة، وبت أيضاً لبنات الأمل وخطوات المستقبل.

الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية حديثة العهد بالنشأة.

استطاعت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية أن ترصد مختلف مظاهر المجتمع بجوانبه السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

الرواية الجزائرية ذات اللسان العربي مارست حضورها الإيجابي في النوعية، وأبرزت حضورها الحضاري التاريخي، وأعطت الصورة الحقيقية وعكست الواقع المعيش.

6. الهوامش:

- 1- جابر عصفور، زمن الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1999م، ص37.
- 2- المرجع نفسه، ص38.
- 3- شجاع مسلم العاني، الرواية العربية والحضارة الأوروبية، وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، د.ط، 1979م، ص05.
- 4- بلحيا الطاهر، الرواية العربية الجديدة من الميثولوجيا إلى ما بعد الحداثة جذور السرد العربي، دار الروافد الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 2017، ص107.
- 5- شكري عزيز الماضي، أنماط الرواية العربية الجديدة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط2008م ص13.
- 6- صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ط2، 2009م، ص45.
- 7- أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، د.ط 2007م، ص05.
- 8- صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ص46.
- 9- أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، ص15.
- 10- صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ص46.
- 11- المرجع نفسه، ص47.
- 12- أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، ص47.
- 13- صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ص47.
- 14- محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص140.
- 15- المرجع نفسه، ص140.
- 16- المرجع نفسه، ص140.
- 17- المرجع نفسه، ص121.
- 18- أحلام معمري، نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، مجلة الأثر، دورية علمية محكمة تصدر فصليا عن كلية الآداب واللغات جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد20، 2014م، ص60.
- 19- محمد مصاييف، النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1983م، ص119.
- 20- فايد محمد، سحنين علي، أبحاث في الرواية ونظرية السرد، طكسيح للدراسات والنشر والتوزيع، الدويرة، الجزائر د.ط، 2014م ص61.
- 21- مخلوف عامر، توظيف التراث في الرواية الجزائرية بحث في الرواية المكتوبة بالعربية، منشورات دار الأديب، وهران الجزائر، 2005م، ص50.
- 22- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، تأريخا وأنواعا وقضايا وأعلامه، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، ط2، 2009م، ص198.
- 23- عبد الله الركبي، تطور النثر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، القبة، الجزائر، د.ط، 2009م، ص239.
- 24- المرجع نفسه، ص240.

- 25- محمد مظلوم، ربح الجنوب رواية عبد الحميد بن هدوقة، كتاب في جريدة، أصدرته منظمة الأونيسكو عام 1996م عدد 115، 2008م، ص03.
- 26- المرجع نفسه، ص03.
- 27- محمد مصايف، النثر الجزائري الحديث، ص120.
- 28- مخلوف عامر، مراجعات في الأدب الجزائري، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2013م، ص96.
- 29- المرجع نفسه، ص96.
- 30- محمد العيد تاورته، الرواية في الأدب الجزائري المعاصر النشوء والتطور 1947-1984م، أطروحة دكتوراه دولة، ج10، إشراف الأستاذ: سيد البحراوي، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، قسم اللغة العربية وآدابها، 2000م ص266.